

ابن الدموع



M4

ابن الديموع

إعداد : القس تادرس يعقوبه

اللوحات : الفنان عزت نجيمه

رؤيا مطرمة

نامت المرأة ودموعها تجري من عينيها ، وإذ بها ترى
نفسها واقفة على قطعة من الخشب ، والكآبة قد شملتها ،
ودموعها كينابيع تفيض بغير توقف .

رأت فتى بهي الطلعة ، ترتسم الابتسامة على شفثيه ،
ورشح الفرح من ملاح عياه جاء إليها وبلطف سألها :

« مالك تبكين ، والغم لا يبرح من قلبك ؟ ا ،

لم تستطع المرأة أن تجيب من كثرة بكائها . . . لكنها إذ
قطعت إلى الفتى تشجعت وتعزت . . . عندئذ أجابه :

« يا حبيدي . . . ولدي .

ولدي الذي من لحمي ودمي . . . قد حلك ا ا



صار فيلسوفاً عظيماً ، يجالس العظماء ، ويحسده الأثنياء .
وتسناه كل فتاة أن تكون عروساً له ... لكنت فقد نفسه وحلك !
لربى ... منذ صباه لم يختبر حلاوة العشرة معك ، ولا
طاق دسم الكتاب المقدس ! ...

ولدى يرتبط بعشيقة يلتقى معها كل ليلة ، ينسى حياته
ويتمرغ في الدلس !

ولدى ... كيف لا أبكيه كل حياتي !
كيف لا تمتلكني السكابة من أجله ، إذ حاد عن ناموسك ٤١ .
هذئذ لم تستطع أن تكمل حديثها بل أجهشت في البكاء .
تطلع إليها الفتى البهى ، وفي حنان أبوى أخذ يطمئنها قائلاً:
« تمزى ولا تخافى . فهامو وللك هنا ، وهو معك ، ..

لثفتت المرأة ، فإذا بها تراه بجوارها واقفاً معها على
الحشبة والحال أدركت أنه سيقبل الإيمان ...

† † †

لثفتت المرأة من نومها ... والبهجة تملأ جوانب قلبها ،
قد تأكدت إستجابة الرب لطلباتها ...

ضمت يديها وركعت تشكر الله ، ثم أسرع تبشر ابنها بما
جرات . . . أما هو ففي سخرية تهكم عليها قائلاً :
«أما تفهمين يا امرأة ، انه يقصد أنك ستكونين مثلى ١٩ ،
صمت الام ولم تجادله ، بل أسرع بالخروج الى الكنيسة
والدموع تجرى من عينيها . . .

+ + +

وفي الطريق رآها الشيطان ، فاغتاظ من مبارتها وقوة
«رجائها ، عندئذ أرسل إليها أحد أقاربها إلتقى معها في الطريق
إلى الكنيسة (١) . . .

«اقرب إليها وبدأ يسألها :

«مالك تبكين يا أختى ؟

«هل مرض أحد أبنائك فاستدعى له الطبيب ؟ ،

«أجابته المرأة « نعم . إبنى مريض . وأنا أعلم من هو
طيبه الذى يقدر أن يشفيه . . .

«إني أذهب إلى الكنيسة أصلى لاجله ، وأطلب من أبى
الأسقف يصل عنه لاجل شفائه .

(١) هنا الجزء من وحي الكتاب .

هند قد أجابها الرجل قائلاً . . .

وتمهل يا سيدتى . . .

اخبريني ، لماذا لا يبارح الغم نفسك ١٤ هل أهمتى فى
شئ من واجبك نحو ابنك . . .

فى طفولته كنتى تعلينه التعاليم الحية .

فى صبوته لم تبخلى عليه بشئ من إرشاداتك الروحية أو
إهتمامك به دراسياً أو . . .

شمتيه بعطف وحنان لم تصنعه أم مع إبنتها . . . وها هو
اليوم شاب كامل السن ، ناضج العقل ، مسئول عن نفسه . . .

إبنك ليس بالشاب الخامل ، ولا بضعيف الذكاء ، بل
ينبغ فى كل شئ على أقرانه . وهاهو صيته يجول فى المسكونة .
كلها . . .

كسنى عن البكاء ، وارجعى إلى بيتك ، فأنت لست بعد
صغيرة عنه .

أجابته المرأة فى صرامة . . .

كيف أكف عن البكاء من أجله . . . ومريم ومرثا قد .



لأتخبنا أخيرها الميت بالجسد حتى أقامه الرب لها . . .

الأرملة تتحب وحيدها الشاب من أجل انتقاله الجسدى ،
وأنا لا أبكى لبنى الذى يهلك فى نيران الشهوة ؟

لو أنه فشل فى دراساته ، لما تهرأت أحشائي عليه ، وذاب
قلبي من أجله ، كما هو اليوم . . .

وها أنا أذهب أستعين بالكنيسة لنصلى من أجله ومن
أجل أنا أيضاً . . .

+ + +

لأنصرف قريبها ، أما هى فأسرعت إلى الكنيسة وهناك
لالتقت بأبيها الأسقف ، وبعد ما قبلت يديه والدموع تجرى
من عينيها ، قالت له كعادتها . . .

« أبى . . . أرجوك ألا تنسى لبنى لأنه يهلك ولا يريد أن
يسمع منى ، . . . »

وإذ رأى الأب إرتباكها وبكاءها من أجل ابنها ، أجابها
فى هدوء بطمئنها قائلاً . . .

« أتركه كما يشاء يا ابنتى . . . فقط صلى من أجله إلى



الله كثيراً إذ من المحال إقناعه بشره مع كونه أعظم فصحاء
العالم ...

أفركيه يقف على حاله بنفسه ...

لقد كنت أنا يوماً ما من أتباع ماني (١)، ولم أكن فقط
أقرأ كتبهم بل وأنسخها بيدي . ولكنني أخيراً عرفت غباوتهم
وتركتهم ... صلِّ يا ابنتي من أجله ! . . .

لكن المرأة إزدادت في البكاء وهي تصرخ ...

« يا أبني أرجوك أن تصلي من أجل ابني ... »

عندئذ أجابها الأب الاستقف ...

« ثقي يا امرأة أنه من المستحيل أن يهلك ابن هذه الدموع . .

خرجت المرأة ، وقد عومت في قلبها ألا تكف عن البكاء

إل أن ترى لبنتها قد عاد من ضلاله .

† † †

(١) المانوية بديعة سمط فيها أغسطينوس، أم مبادئها أنه لا يقبل لتوبة
الساطين ، وتحريم العوم وبعض أنواع الفواكه ومنع الزواج ، واحتقار
المهد القديم ... الخ .

صديق صميم

تعرف الفيلسوف على صديق شاب . . . وتوثقت بينهما
رباطات الصداقة حتى لم يكن أحدهما يفارق الآخر . . .

استطاع الفيلسوف أن يجذب صديقه الشاب إلى بدعة ماني،
إذ لم يكن متمكناً من إيمانه . . .

وهكذا صار الصديقان متلازمين في كل شيء ، من هوى
وترف وفساد ، وبقيا على هذا الحال عاماً واحداً حتى مرض
الصديق وأشرف على الموت .

خاف أهله عليه فعـدوه . . . أما الفيلسوف ، فكان
يهزأ بالعماد حاسباً إياه مجرد غسل جسدي . . . إلا أنه لم
ينطق بكلمة حرصاً على مشاعره في ساعات مرضه الشديد .

وإذ بدأ يشفى ، كان عنده الفيلسوف الذي كان يلزمه طوال

فترة مرضه . . . وإذ به يسخر بالمعمودية . . .

حزن الصديق وانتهره بشدة قائلاً : « إسمع يا أخى . . .
إن أردت أن تضع حداً فاصلاً لصدقتى بك ، فكلمنى فى هذا »
الشان بهذه الطريقة الهزلية ، .

لم يفتح فاه ، إذ ظن أن هذا من آثار المرض . . . منتظراً
إتمام شفائه ليفاتحه فى الأمر . . . لكن الله سمح فانتقل الأخر .

+ + +

حزن الفيلسوف على صديقه جداً . . .

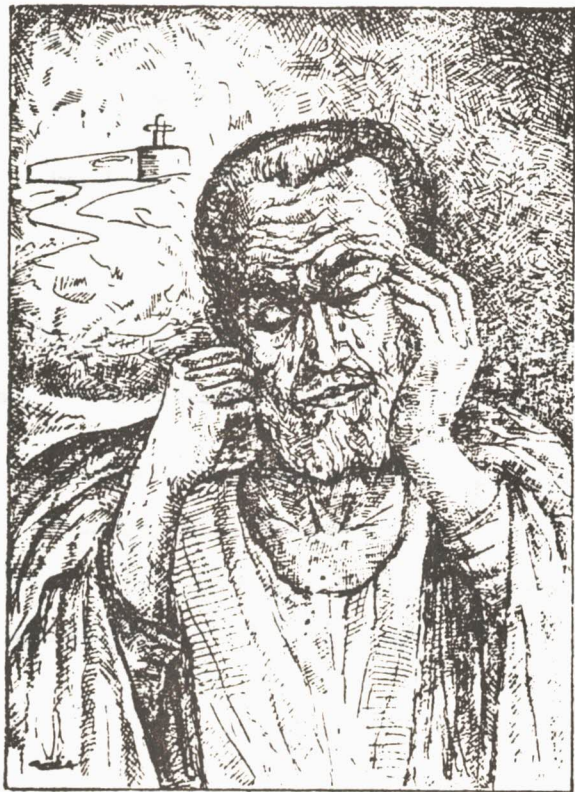
صار يجمول فى كل مكان كأنه يبحث عنه . . .

كان كأنه يتوقع من يقول له ، هوذا صديقك أت عن

قريب . . .

إظلمت الحياة فى نظره حتى كره كل شئ ، وفقد كل

قلية ، وصار لا يلد له إلا البكاء الدائم والتهد المستمر . . .



سَم كل شيء . . .

نفر من الحياة والموت . . .

كره النور والظلمة . . .

أبغض الوجود مع الناس ولم يطلق الانفراد بنفسه . . .

+ + +

لكن . . . مرت الاعوام ، وعاد ليخضع لمديح الناس .
له . . . فأوعز إليه أصدقاؤه أن يسافر إلى روما طلباً للجد .

حاولت أمه أن تمنعه إذ خافت عليه اثلا يرداد في إنحرافه .
. . . لكنه أوعز إليها أنه سيودع صديق له مبحراً في
المركب . . . وبالليل تركها تظلي في كنيسة القديس كبريانوس .
وهرب مبحراً إلى روما تاركاً إياها في دموعها .

+ + +

مع الآب أمبروسيو

طلب حاكم ميلان من حاكم روما أستاذاً للبيان ، فأرسل
إليه هذا الفيلسوف . . .

وهناك لالتقى بأسقف المدينة « أمبروسيو » ، الذي تجمه
بعطفه وحنانه ، فأحبه الفيلسوف وأعجب بعظائمه ، وبدأ
يدرس الكتاب المقدس . . . لكن لأجل الفصاحة لا لتمتع
بالشركة مع الرب . وقد أعجب برسائل بولس الرسول ، فانكب
على دراستها .

سمعت أمه بذهابه إلى ميلان ، فأبحرت وجاءت إليه . . .
وكانت تحبه دائماً على الذهاب عند أمبروسيو .

† † †

وفي إحدى الأيام ، بينما كان جالساً مع ألبوس يتسامران ،
إذ بأحد المؤمنين الحقيقيين يدعى « بفتسيان » وهو من كبار
رجال الدولة ، يدخل عليهما . . .

ولما جلس بينهما وقمت أنظاره على كتاب موضوع على
طاولة اللعب أمامهما ، فتناوله ظاناً أنه أحد كتب الفصاحة ،
فإذا به كتاب رسائل بولس الرسول .

ألتمت إلى الفيلسوف وقد ارتسمت على ملامحه علامات
العجب ، ثم قال له مبتسماً « ما أحسن هذا الأمر الجديد . . .
أعندكم أنتم كتاباً مقدساً ، .

أجابه « لا تتمجب من هذا ، فإننى من مدة لم يكن لى
ما يشغلنى غير مطالمة هذه الأسفار المقدسة ، .

ثم أخذ بفتسيان يجاذبهما أطراف الحديث عن أمر القديس
أنطونيوس القبطى . وقد أطال الحديث عنه ، وهما يتمجبان
بما يقال فيه . . . واختم حديثه قائلاً :

« إننى كنت فى مدينة ترافيرى أنا وثلاثة آخرين من
زملائى ، خرجنا لفتنزه واقربنا إلى أسوار المدينة ، حيث
إنفردت أنا وزميلي عن الإثنين الآخرين . . .



أما هما فقد سارا حتى إلتقيا بخيمة فيها بعض المتسكين ،
ولما دخلا الخيمة وجدا كتاباً عن حياة انطونيوس ، فتناوله.
أحدهما وجلس يقرأ فيه ، فاندمش مما جاء فيه ، وإلتهب قلبه.
وعزم أن يقتدى به .

إذ إزداد قلبه إحترافاً بمحبة الله ، وإزدرائه للزمنيات ،
إلتنفت إى زميله قائلاً ، بحقك قل لى ما هو غرضنا من كل ما نرى
إليه فى جميع أعمالنا ١٢

ثم هاد ليقراً وأخيراً قال لصديقه ، لقد انتهى
الامر . أما من جهتي فقد قطعت كل حبال الآمال فى العالم
الزائل ، وقد عزمت أن أحياء الله وسأبدأ الآن هنا فى هذه
المكان بما عزمت

أجابه صديقه ، وأنا أيضا أشاركك عزتك

ثم أكل بنتيسان حديثه قائلاً ، أما أنا وزميلي فأخذنا
نفتش عليهما حتى وجدناهما فى تلك الخيمة وكان عملهما هو
الهديد فى الله

ولما رأيتاهما أخذنا نبكي على أنفسنا ، وطلبنا صلواتهما
ورجعنا إلى القصر ، وكان قلبنا ملتصقا بالتراب .

ولما سمعت الفتانان اللتان كانتا غطوبتين لهما ، عزمتاهما
أيضاً أن يقدمَا عذراوينهما للرب ، سالكتين مثل العذارى
الحكميات لتكونا في كنيسة الابكار ...

كان بفتيسان يتكلم بهذا ، بينما قلب الفيلسوف يتمزق ،
إذ ارتسمت في مخيلته حياته الماضية ...

طأطأ رأسه ، وتنهَّد تنهَّدات مرة ، وبدء يستعرض
تنانة سيرته أمام عينيه ... وإذ يقول في داخله .

« أيها الرجل الفصيح . لقد جال صينك في العالم ، وتاق
الكل أن يسمع كلماتك ... لكن انطونيوس الأسمى قد غلبك
في حياة العفة والطهارة ...

ربي ما ظا قدمت في حياتي غير الدلس والشر ...

أنى لا أذكر طفولتي ... لكنها بالتأكيد مملوءة شروراً
أما صباى فرنسم أمام عيني ... كيف أنسى أنى أحببت
« اللاتينية ، وتكالبت أعيش في القصص الخليعة .

كنت أبكى عفيفة ماتت حبا بمشوقها ، ولم أكن أنتجيد
نفسى التى أملكتها بعدم حبي لك يا هريس نفسى ا

إندفعت لانتشرب السم من تلك القصص الماجنة المملوءة
بذعارة .

كنت أهتم كيف أرضى معلى ولا أهتم كيف أرضيك !
كنت أكذب فى لعبى مع أصدقائى ... إذ أريد أن أكون
غالباً ولن أقبل قط أن أكون مغلوباً ...

أما وقد إنتقلت إلى سن الشباب ... فإنه لم يكن يحلو لى
إلا أن أكون عاشقاً ومعشوقاً ...

لكل حب حدود ، ولكل شهوة نهاية ، أما أنا فلم
أكن أهرق للهوى حد ، إذ كان الدخان المتصاعد من براكين
شهوات جسدى يعمى عيني ...

كنت ارتكب الفحشاء ، لا لإشباع شهوانى فحسب ، بل
ولسببى ازهو بها بين أصدقائى ... أفص عليهم شروراً لم ارتكبها
وأحدثهم عن عشيقات هن من وحي خيالى .

مرة جمعت زملائى ، وخرجت بالليل أسطو على بيت جارنا
لكى أسرق الكثرى من الشجر وألقى بها للخنازير ... كل هذا
لكى أكون عظيماً فى أعينهم !

وفي هذا كله ، كانت أمى ، أمى التيقية كانت تكلمنى -
وصوتها على ما أظن هو صدى صوتك .

كانت تلح على بشدة لتمنى ... أما أنا فما كنت أعيرها
إهتماما ، ولا أكثرث بأقوالها ، لأنها أقوال امرأة ... حاله
كونها صادرة من عندك !!

أما فى قرطاجنة فقد أحاط بى ربات الهوى كما يحيط السوار
بالمصمم ... ولم تكن لى لذة إلا أن أكون عاشقاً وممشوقاً ...
آه ياربى ! كم من شرور ارتكبتها ، حتى فى المآبده المكرسة
لخدمتك !

قرأت كتب شيشرون ، فاحببت الحكمة ، واشتقت لور
أعطى لى جناحين أطير بهما إليك بعيداً بعيداً عن الأرضيات ...
لكن لم تخلو هذه الكتابات من بعض الضلالات التى أخذت
اشتياقى !

أسرعت إلى الكتاب المقدس ، لكننى نقدته نقداً خبيثاً ...
أخلقت على نفسى بابلك يا إلهى بفساد حياى ، إذ تجاسرت وبجشده
بكبرياتك يا من لا يعرفك إلا المتواضعين !

وبينما كنت هالكا ، ظننت اننى قادر على الطيران ، فتركت
العش وسقطت قبل أن أتعلم الطيران - إذ سقطت في بدعة ماني -
وهوذا أنت يا إله الرحمة تفتشنى حتى لا يطانى المماراة بأقدامهم
حتى الموت ، وتضعنى فى العش ثانية اء .

فى وسط ذوامه هذه الأفكار تطلع اغطينوس الى اليبوس
بصرخ فى وجهه .

ء وماذا نعمل نحن ١٩

ما هذا الذى نسمعه ؟

أبستيقظ السذج الاميين ويسرهمون الى اختطاف ملكوت
السموات ونحن معشر العلماء الحكماء نتمرغ فى وحل النجاسة
والدنس ١٩

ولماذا نخجل من اللحاق بهم ١٩ هل لانهم سبقونا ١٩ أفا
نخجل بالاولى لعدم اقتدائنا بهم ١٩

† † †

ثورة في البستان

نطق بتلك الكلمات ثم اندفع لا شعوريا إلى بستان مجاور
لثوراه .

تعجب اليوس ، وخرج يقتني آثاره ، فأطبه بحده
ورمى على جذع شجرة تين وهو يصرخ قائلا ...

عاصفة شديدة ... دافع عني !

وأنت يا رب لحي متى ١٤ إلى متى يا رب ١٤

أتمغضب إلى الأبد ١٤ لا تذكر علينا ذنوب الأريين ،
سخطني أشعر اني قد استعبدت لها ...

إلى متى ١٤ إلى متى ١٤ إلى الغد ١٤ ولماذا لا يكون الآن ١٤
لمماذا لا تكون هذه الساعة حداً فاصلاً لنجاستي ١٤ ...

لقد كنت قبلا أناديك ، يا رب أعطني الوداعة والعفة ،
ولكن ليس الآن ، .

كنت أخاف أن تستجيب طلبتي ، فلا أعود أتمتع بالذمة ،

كنت أحب مجالسة الأشرار لا الجلوس معك ،

أحببت كتب الفلاسفة ولم أكن أتوق إلى كتابك ،

والآن إن قلت لك توبني فدا ، فلتسمح أن أتوب الآن ،

وبينما هو يبكي سمع صوت طفل يردد ، خذ وأقرأ ... ، .

قام وأخذ معه ألبسوس وفتح رسائل بولس الرسول فإذا به
يجهد القول ، قد تهاهى الليل وتقارب النهار فلنخضع أعمال الظلمة
ونلبس أسلحة النور ... ، رو ١٣ : ١٢ .

أخذ يردد القول ، ثم قام مع ألبسوس يبشران الأمم التوبة
عاشت باكية ما يقرب من عشرين عاما لاجل تلك الساعة .

† † †

إرتمت الأمم على عنق ابنها وصارت كما في غيبوبة تله كرتلك
الكلمات التي قالها لها الفتي في الرؤيا ، تعزى ولا تخافى . فيها هو
ولدك هنا وهو معك ... ، .



نعم لقد طال الزمن . . . لكن ، واعيدك تبقى ثابتة ،
في أوانها . . .

لقد أتت اللحظة التي طالما ترقبتها أنا وترقبها السماء لتفرح ،
بذاك الذي كان ضالاً فوجد وميتاً فعاش

فأنت الام لتجد نفسها تعانق ابنها وتقبله بدموع غزيرة .

أخذت الام ابنها وإبنه دودا تيوس (غير الشرعي)
وألبيوس وذهبت بهم إلى أمبروسيوس ليسجدوا شكرآ لله
ويعترفوا بخطاياهم ويستعدوا اسر العماد والتقدم إلى التناول .

† † †

أغسطينوس قدم مات ١

إذ كان الفيلسوف التائب يتأمل في حب الله للخطاة ،
وترفقه بالضعفاء ، وطول أناته مع كل إنسان . . . إذ بالباب
يقرع .

سأل عن الباب ، وعرف القارع ، عندئذ قال
« من تطلبين ؟ » .

أجابت ، أغسطينوس ، .

عندئذ قال ، أغسطينوس مات ، .

دهشت المرأة من تلك الإجابة ، إذ قالت ، الصوت صوت
أغسطينوس فكيف تقول أن أغسطينوس مات ، .

أجابها أغسطينوس ، يا أختي . . . أغسطينوس الذي تطلبينه
قدم مات ، وأما الذي يحدثك الآن فهو يسوع العامل في قلب
أغسطينوس ، .

لم تصدق المرأة نفسها ، إنما أسندت رأسها على يدها ثم
هدأت تفكر في نفسها . . .

وما هذا الذي أسمعه اليوم ؟ إنه ليس كعادته !
أليس هذا أغسطينوس الذي كان يتوق إلى سماع صوتي ؟
أليس هذا الذي كان يتمرغ لاهياً في الفجور معي ؟
أغسطينوس الذي ما كان يستطيع أن أغيب عنه يوماً واحداً ؟
أغسطينوس يرفضني ! ولا يريد حتى أن يفتح الباب
ليتفاهم معي ! . . . ماذا ؟ ! بالحق هو مات . . . إنه ليس
أغسطينوس الذي كنت أعرفه . . . لكن المتكلم هو يسوع
العامل فيه ! !

أهكذا يا يسوع تقدر أن تمت الخطية وتقتل الدنس وتنزع
الشهوات وتلهب القلب بالعفة ، حتى يرفض ذلك الفاجر مقابلتي !
والآن . . . لماذا لا تقتل شهواتي أنا أيضاً لأنتم بك وأحي
خيك واختبر العفة كما يجيباً أغسطينوس اليوم ؟ !

انطرحت المرأة عند الباب باكية ، وفي ندم صاحت :
« وأنا أيضاً أريد يسوع . . . يسوع . . . يسوع . . . »

+ + +

انتقال مونيكا

أقام أغسطينوس مع بعض اصدقائه ستة أشهر في كاسيكاسيوم بجوار ميلان يتأهب لقبول سر العماد ... وكان معه أمه مونيكا وأخيه وإبنة اديدياتوس وألبوس ... وكان الكل يسترشد بالأسقف أمبروسيوس .

وفي ابتداء عام ٣٨٧ عاد إلى ميلان حيث اعتمد هو وابنه وصديقه على يد أمبروسيوس .

سافر القديس مع والدته وأخيه وابنه وصديقه إلى أوستيا منتظرين السفينة للعودة إلى بلادهم .

وفي أوسيا كان موضوع تأملاتهم هو ملكوت الله وانتظار مجيء الرب الثاني ، وبينما كانت قلوبهم ترتفع في السماويات ، إذ بالأم تختم حديثها بقولها لاغسطينوس :

« يا إبنى ... لا يسعدني شيئاً ما في هذه الحياة بعد ، » .

ماذا لي بعد أن أفعل ، فإنني أبغض الزمانيات ١٩

وإنني أعتقد أن الله قد أمد من حياتي هنا لسبب واحد ...
حرفه أن أراك قبل أن أموت مؤمناً مخلصاً ، ومسيحياً بالحق !
وهوذا الله الغني قد أبقاني حتى رأيتك خادمه الأمين المحترق
للزمانيات .

فما هي رسالتى بعد ١٩ ولماذا أبني ١٩

وبعد خمسة أيام من قولها هذا مرضت بحمى شديدة وأغمى
عليها . ولإذ أفاقت وجدت ولديها في حزن عميق فقالت لهما .
« أينما مت إدفنا والدتك » ...

قالت هذا لأنه قد زالت عنها رغبتها الأولى أن تدفن مع
والدها في القبر الذي أعدته ...

« أجبها ابنها تافينوس : « لا تقولى هذا يا أمى ... »

تطلعت إليه الام وفي عتاب وجهت الحديث إلى
« غسطينوس :

« انظر يا غسطينوس ماذا يقول اخوك تافينوس .



يايى لانهما ابدأ بأمر جسدى ، بل إدفناه حينما يكون ،
فإن هذا ليس بذى أهمية عندى .

لكننى أسألكما أمراً واحداً ، وهو أينما كنتما أذكر
والله أنى على مدح الله ! !

واذ نطقت بهذا اغمضت عينيها ورفعت قلبها الى الله مصليه
وأسلمت روحها الطاهرة ...

حاول أغسطينوس ألا يسكى لأجل الفراق الجسدى ...
لكن دموعه تفجرت من عينيه بغير ارادته ، وهو يقول :

« ألا يجب ان أسلم نفسى للدموع ساعة واحدة من اجل
ذلك التى كانت من اجلى تعوم فرشها كل يوم بالدموع ساعات ١٩٢٥ »

† † †

PRINTED BY:

ST MARY'S COPTIC ORTHODOX CHURCH

1 - 11 Epsom Rd., Kensington 3031

Tel. {03} 376 6651, {03} 376 6005